الأهرام

المصدر : الشرق الاوسط

التاريخ : ٦ يوليو ١٩٩٩

كلام إسرائيل المتكرر عن الانسحاب من الجنوب محاولة مدروسة لفصل المسارين اللبناني والسوري

باريس: شكري نصر الله

ابدت الصحف السورية قبل ايام، تشاؤما واضحا من امكان استئناف المفاوضات بين سورية واسرائيل. ووضعت اللوم على واشنطن التي لم تواصل تحركها الايجابي نحو السلام العادل والشامل في المنطقة. ويأتي هذا التشاؤم السوري بعد ان شهد الوضع في الشرق الاوسط تقدما ملموسا في الاشهر القليلة الماضية. ورغم ذلك فان زوار الرئيس حافظ الاسد ما زالوا يؤكدون انه راغب في السلام ولا يرى بديلا له كاستراتيجية لبلاده وشعبه. بل ان رئيس جنوب افريقيا السابق نيلسون مانديلا اقسم ان الرئيس السوري جاد في البحث عن السلام الشامل، والعادل المبني على قرارات مجلس الامن ومبدأ «الارض مقابل السلام».

من جهته، لم يتوقف ايهود باراك رئيس الحكومة الاسرائيلية عن القول انه يريد استئناف المفاوضات مع سورية ويرغب في السلام الدائم معها. بل انه يؤكد اخيرا للاسرائيليين ان السلام ليس ممكنا من دون سورية. لكنه طرح سؤالا محددا على زواره من جهة وعلى رؤساء دول زارها من جهة ثانية. وهو: «لماذا لا يقترب الرئيس حافظ الاسد مني، ولا يريد ان يكلمني، او يتفاوض معي؟».

وهذا السؤال بالذات جعل الفرنسيين يقولون ان باراك يشعر ان سورية لا تريد السلام، لان رئيسها ممتنع عن لقائه او مخاطبته. والحقيقة ان الرئيس الاسد خاطب باراك اكثر من مرة، واعلن في اكثر من مناسبة انه يعتبره رجلا شجاعا، ومقداما، يحترم كلمته ووعوده. لكن الرئيس الاسد لا يستطيع ان يقدم الى باراك اكثر من ذلك مادام باراك يستمر في وضع شروط وعراقيل امام انسحاب اسرائيل الى حدود 4 يونيو (حزيران) 1967.

وطبقا للمنطق السياسي السوري المستند الى وقائع وتجارب من التاريخ، فانه من غير المعقول ان يلتقي صاحب الارض المحتلة بالمحتل الا بعد انسحابه، او بعد التاكد من ان الانسحاب سيتم، والا فان اللقاء يصبح بمثابة هزيمة جديدة. ويرى الفرنسيون ان ما يحكم العلاقات السورية - الاسرائيلية الان هو نظريتان تتعلقان بالشكل والمضمون المحتمل للسلام المقبل. ففي حين تمكن الاسرائيليون والفلسطينيون من الاتفاق على الشكل واختلفوا على المضمون، فان سورية واسرائيل متفقتان على المضمون لكنهما مختلفتان على الشكل. ومن المرجح ان سورية لا تريد ان تذهب الى طاولة المفاوضات النهائية، اي الى التوقيع، الا بعد ان يتم الاتفاق على الشكل. والشكل بالنسبة الى سورية يساوي في اهميته، المضمون، بل يفوقه اهمية، لان السلام سينعكس على الناس، فاذا شعر الناس ان اسرائيل اخذت السلام وشيئا من الارض السورية، او تجاوزت حدود الكرامة، يصبح السلام عارا بدل ان يكون اتفاقا اخلاقيا واجتماعيا وسياسيا. ولان اسرائيل لم تحسم امرها نهائيا بعد لجهة الانسحاب الكامل، تراجعت الحواطف السورية. وقرر السوريون ان يقولوا: نعم للسلام. ولا لاي ثمن لهذا السلام.. الا بعد العلاقات الطبيعية، بعد الانسحاب الكامل، وليس قبله.

ويبدو ان اسرائيل عادت لتلعب على ورقة فصل المسار اللبناني عن المسار السوري. وهي الورقة الاشد حساسية بالنسبة الى دمشق. ويبدو ان اسرائيل تحضر حاليا للانسحاب من منطقة حاصبيا الجنوبية بعد ان انسحبت من جزين، وذلك في محاولة خبيثة للضغط على سورية. وقد اعلن باراك في باريس عندما زارها الشهر الماضي: «ان اسرائيل تامل ان يتقدم المساران اللبناني والسوري جنبا الى جنب. لكن اذا تعثر المسار السوري فسوف نواصل تحقيق ما وعدنا به بالانسحاب من لبنان قبل يوليو من العام 2000».

وقد طرح هذا الاعلان من قبل باراك عددا من التساؤلات والاستنتاجات الدولية والمحلية. فالاوروبيون مثلا وفي مقدمتهم فرنسا، لا يستطيعون ان يعرقلوا انسحاب اسرائيل من لبنان لان هذا الانسحاب هو مطلب دولي مقترن بقرار من مجلس الامن لا يخضع للمراجعة او التراجع.

وشان اوروبا هو كشان

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الولايات المتحدة بالنسبة الى الانسحاب الاسرائيلي من لبنان من طرف واحد، على رغم ان واشنطن نصحت اسرائيل مرارا وتكرارا بالا تنسحب من لبنان من دون اتفاق مع سورية. والسؤال المطروح هو: ماذا يمكن ان يحدث اذا انسحبت اسرائيل من لبنان قبل او من دون الاتفاق مع سورية؟

الجواب هو ان هذا الانسحاب سينعكس على ثلاثة اطراف هي: - الحكومة اللبنانية، وبالتالي دمشق، 2 - حزب الله وبالتالي ايران. 3 - ابناء الجنوب، وبالتالي اللبنانيون جميعا.

بالنسبة الى الحكومة اللبنانية، فانها تعلن دون توقف انها لا تريد فصل المسارين اللبناني والسوري. وهي جادة في هذا الاعلان لكنها ليست الطرف الرئيسي المعني بالعملية العسكرية للانسحاب.

وبالنسبة الى «حزب الله» فهو بالتاكيد، العنصر الاشد تاثيرا في المسار اللبناني. واستنادا الى الفرنسيين، فان «حزب الله» يملك درجة عالية من الاستقلالية مرتبطة بالعلاقة السورية - الايرانية بحيث تبقى العلاقة جيدة ما دامت الصلة بين دمشق وطهران جيدة. ويمكن ان تتوتر اذا ما توترت الاحوال بين سورية وايران. ويقول الفرنسيون ان «حزب الله» تصرف حيال انسحاب اسرائيل من جزين (وهي منطقة مسيحية مارونية في معظمها) بذكاء. فقد كان الظن ان الحزب سيفتك بابناء جزين حالما تنسحب منها اسرائيل طبقا للنظرية الاسرائيلية القائلة ان اللبنانيين سيتقاتلون في ما بينهم عندما تنسحب جيوشها من مناطق لبنانية حساسة (كما حصل في الجبل بين الدروز والموارنة سنة 1982)، لكن «حزب الله» تصرف بذكاء ووطنية عالية عندما اعلن «ان جزين وابناء جزين مثل صور وابناء صور»، اي ان معاملة جزين لن تختلف عن معاملة صور التي هي قاعدة الحزب الشعبية والطائفية. وطبقا لهذا المنطق، فان الفرنسيين يعتقدون ان انسحاب اسرائيل المقبل من حاصبيا (وهي منطقة ذات اكثرية درزية) سيؤدي الى التحام شعبي وطني سلمي بين «حزب الله» وابناء حاصبيا. وهذا الالتحام يدل على ان «حزب الله» لا يعمل كحزب مقاتل وحسب، بل كحزب يريد ان يحقق شعبية واسعة في لبنان. وبناء على هذا، فان الطرف الثالث اي ابناء الجنوب سيربطون انسحاب اسرائيل بالعلاقة الجديدة المحتملة مع «حزب الله» فاذا اعاد الحزب الى الانهان فترة «فتح لاند» اي حرية حركة فتح في جنوب لبنان في السبعينات حتى العام 1982 وحرية الطائرات والمدافع الاسرائيلية في ضرب الجنوب، يصبح الجنوبيون اعداء لـ«حزب الله» مثلما كانوا اعداء «فتح» رغم ان هذا العداء بقي في النفوس ولم يخرج الى العلن.

لكن الفرنسيين يعتقدون ان حزب الله الذي يريد ان يكون حزبا

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

شعبيا، سيفضل الاحتفال بالنصر بعد انسحاب اسرائيل على ان يخسر الاهالي وتأييدهم له، خصوصا ان الانسحابات الاسرائيلية النهائية ستتم في فترة الانتخابات التشريعية اللبنانية اواخر ربيع سنة 2000، اي في غضون مايو ويونيو. اي قبل الانسحاب الاسرائيلي بشهر (مفترض ان يتم قبل 7 يوليو سنة 2000). وطبقا للاوروبيين، فان حزب الله يريد ان يدخل الانتخابات التشريعية كحزب سياسي. فاذا احتفل بالنصر يصبح ممكنا له ان يدخل الى البرلمان بكتلة نيابية من 15 الى 20 نائبا وربما اكثر، وهذا العدد سيجعل من الحزب اقوى قوة نيابية ضاغطة في مجلس النواب المقبل.

ويقول الفرنسيون ان دخول حزب الله، المعترك النيابي في لبنان سيبنى على امرين: الاول ان الحزب يكون قد حقق مطلبه العسكري النضالي وهو: تحرير لبنان من اسرائيل، باعتبار انه لم يعلن ولو لمرة واحدة، انه يعمل من اجل تحرير فلسطين. والثاني، موقف ايران مما يجري في لبنان.

ويعتقد الفرنسيون ان لايران - عبر التاريخ - مطامع في البحر الابيض المتوسط تفوق مطامع قياصرة روسيا. وهي تهدف من وراء علاقتها بلبنان ان تثبت لاوروبا والولايات المتحدة واسرائيل والعرب انها دولة كبرى في هذه المنطقة لا بد ان تنال حصتها كاملة مما يجري التحضير له. واذا اصبح حزب الله كتلة نيابية لبنانية ضخمة فان قرارات المجلس النيابي تصبح مرهونة بموافقة هذا الحزب. وفي حين لا تستطيع ايران ان تبني علاقات جدرية اقتصادية مع العرب الا على الساحل اللبناني المطل على المتوسط، فان ذلك سيجعل طهران عاصمة لا يمكن تجاهلها او تجاهل مطالبها وتوتوها في لبنان، وبالتالي في العالم العربي، باعتبار ان التاريخ الحديث اثبت ان نفوذ ايران لا يمكن ان يبدأ في العالم العربي ليصل الى لبنان.

لكن، هل يعني ذلك ان ثمة احتمالا لفصل علاقة سورية الاستراتيجية بايران؟

حتى الان، لا يبدو ان هذا الفصل وارد في اي من البلدين، لكن سورية تعرف اكثر من غيرها انها لا تستطيع ان تتجاهل المصالح الايرانية في المنطقة. كما ان ايران لا تريد ان تقطع حبل الود مع سورية. ولذلك فان الاطراف الثلاثة المعنية بالانسحاب الاسرائيلي، من لبنان وهي: سورية ولبنان.. وايران وحزب الله، وابناء الجنوب، تنتظر ما ستسفر عنه الوساطات الدولية بين سورية واسرائيل. فاذا انتهت الى استئناف المفاوضات كما يرغب السوريون يصبح ممكنا القطع بان الشرق الاوسط وايران مقبلان على مستقبل سلمي هادئ. ذلك انه لا فرنسا ولا اوروبا ولا اميركا ولا ايران تريد ان تحشر السوريين في الموقف الذي لا يريدونه. فالانسحاب من لبنان دون الموافقة السورية سيؤدي الى محاولة اسرائيلية لعزل سورية، باعتبار ان اسرائيل تصبح قادرة على الانتظار طويلا ما دام ان جبهات القتال من حولها قد توقفت تماما بتوقف جبهة الجنوب اللبناني. وعزل سورية قد يكون ممكنا لكنه لن يؤدي الى السلام الذي تريده اسرائيل مهما طال الزمن. ولذلك، تبدو طهران اكثر المستعجلين، واكثر المتريثين في آن واحد.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية